الحبل السرى الذى يربط المؤمن بقيمة التوكل على الله – تعالى – والتى بها يكون أصلب عودا ، وأهدى سبيلا فى خضم الاحداث) (١) .

هذه الأسباب التى أخذ النبى (ﷺ) بها ، نجحت الدعوة فى الحبشة:

ونقول للدعاة : أريتم كيف صنعت الهجرة إلى الحبشة هؤلاء الرجال الذين مكنوا لدين الله – عز وجل – إن فى حدث الهجرة إلى الحبشة لموعظة ، يجب أن تعيها أذن واعية ، **وهل هناك أوعى من عقول الدعاة ؟**

إن رجال هجرة الحبشة ، قطعوا المسافات الطوال ، وتركوا الأرض والمال ، غير مكترثين بما تركوا ، وإنما شغلوا عقولهم من أجل هذا الدين ، والعمل على التمكين له ، فكانت هذه الحوارات الهادية المرشدة ، التى مكنت الدين من قلوب الملوك قبل تمكنه من قلوب الشعب " وَفِى ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ " (٢) .

---

(١) يوميات مسلم : للدكتور / محمود عمارة – ص ٥٥ الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م – مطبعة التوحيد بشبين الكوم .

(٢) سورة المطففين : آية رقم : ٢٦ .

الهجرة إلى المدينة والتمكين للدعوة :

واول ما يتبادر إلى الأذهان هو أن نسأل هذا السؤال وهو :

لماذا كان اختيار المدينة دون غيرها من بلاد العرب ؟ أو أى أرض أخرى من بلاد الله ؟ خصوصا وأنه كانت هناك الهجرة إلى الحبشة مثلا :

يقول الحق تبارك وتعالى فى سورة العنكبوت ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (١) .

يقول العلامة ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية : (هذا أمر من الله – تعالى – لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذى لا يقدرون فيه على إقامة الدين ، إلى أرض الله الواسعة حيث يمكن إقامة الدين) (٢) .

وكانت يثرب " المدينة " بعد بيعة العقبة الثانية – بالذات هى الأرض الصالحة لاستقبال الدعوة (فلم تعد مكة بوقوفها فى سبيل الإسلام والمسلمين صالحة ، لأن تكون مركزا لانتشار الدعوة الإسلامية ، وأصبحت المدينة بفتح صدرها للإسلام والمسلمين جديرة بأن تكون مركزا لانتشار هذه الدعوة ، فكان من الضرورى أن تنتقل الدعوة من مكة إلى المدينة وهذا ما كان .

وكان النبى (ﷺ) قد رأى فيما يرى النائم ، أنه هاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب ظنه (ﷺ) إلى أنها اليمامة أو هجر – واليمامة : بلد بنجد بالجزيرة ، هجر : بلد بالبحرين ، وهى من بلاد عبد القيس وقد سبقوا غيرهم إلى الإسلام – ثم استبان له (ﷺ) أنها المدينة ، ففى صحيح

---

(١) سورة العنكبوت : آية رقم : ٥٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : للإمام ابن كثير –ج٣ – ص٤١٩– ط : شباب الأزهر بدون تاريخ .

البخارى عن النبى (ﷺ) " رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين " وهما الحرتان " فخرج النبى (ﷺ) بعد هذه الرؤية مسرورا وقال " قد رأيت دار هجرتكم وهى يثرب فمن أراد أن يخرج فليخرج إليها " وقد قابل هذا الإذن بالهجرة إلى المدينة هوى فى نفوسهم فخرجوا إليها أرسالا وفرادى)(١)

ومن هنا يمكن القول بأن اختيار المدينة لم يكن عفواً ، وإنما كان بوحى ، لأن رؤيا الأنبياء وحى .

وهذا يعطى الدعاة إلى الله – عز وجل – حافزا على القيام بدورهم تجاه الدعوة ، والعمل بجد وكد ، على التمكين لها، ولو فى أرض جديدة تكون صالحة لاستقبالها ، كما فعل هؤلاء الدعاة من المهاجرين السابقين ، فلما وجد هؤلاء أن (قوة جديدة تقف إلى جانبهم ، وأن أرضا طيبة تتهيأ لاستقبالهم ، وأخذ الأوس والخزرج – بعد رجوعهم إلى يثرب – يبشرون بالدعوة الإسلامية بين أهليهم وذويهم فتقع فى نفوسهم موقع الرضا والقبول ، وعدون أيديهم لتأكيد البيعة التى التزم بها إخوانهم الذين سبقوهم للقاء محمد (ﷺ)، وهكذا أشرقت يثرب بنور الحق وانتشرت فيها مبادئ الإسلام ، وأصبحت مكانا مناسبا يأمن فيه المسلمون على أنفسهم من أذى المعتدين وطغيان الظالمين) (٢)

وأمر آخر وهو :

ان هؤلاء الأنصار ، الذين ناصروا إخوانهم المهاجرين ،كانوا حقا جديرين بأن تقوم دولة الإسلام فى بلادهم ،كما كانوا أهلا لتلقى هؤلاء المهاجرين إلى الله – تعالى – يدعوتهم ، وهذا يجرنا إلى السوال الآتى وهو:

---

(١) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة : للدكتور / محمد محمد أبو شهبة – ج١ – ص ٤٥٧ ، ٤٥٨ باختصار ، واللابة والحرة أرض ذات حجارة سود نخرة والمدينة بين الحرتين .

(٢) القبس الوضاء من سيرة خاتم الأنبياء : للدكتور / محمد الطيب النجار – ص ٨٣ – ط : ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م معهد الدراسات الإسلامية .

لماذا قامت دولة الإسلام في المدينة – وهي معقل اليهود – ولم تقم في مكة بجوار البيت الحرام ؟ أو غيرها من البلاد .

وقد لا نجد الجواب بعيدا ، أو أن الجواب على ذلك يكمن في (أن الهجرة من مكة إلى المدينة هي التي شكلت المنعطف التاريخي البشري ، وأقامت دولة الإسلام ، ولأمر يريده الله سبحانه وتعالى : أن دولة الإسلام الأنموذج كُتِبَ لها أن تقوم في معقل يهود في المدينة المنورة ، ولم تقم في مكة المكرمة حول البيت الحرام الذي بني على التوحيد ليكون ذلك دليلا هاديا وحافزا لكل الهجرات القادمة على الطريق حتى يرث الله الأرض ومن عليها (١)

ولنا أن نقول أيضا إن الهجرة كانت من مكة التي نزل إليها الوحي أول ما نزل ، إلى المدينة ليكون ذلك دليلا وبرهانا على أن الدعوة الإسلامية يجب أن تنتشر وأن تعم ربوع الدنيا ، ولا تقعد أو تقبع في مكة، لأنها دعوة عامة لكل الناس ، ولهذا مزيد بيان – إنشاء الله – تعالى– عند الحديث على الهجرة وعالمية الدعوة .

---

(١) مجلة منار الإسلام : العدد ٣٤٩ المحرم ١٤٢٥هـ - مارس ٢٠٠٤ م مقال للدكتور: ماجد عبد السلام إبراهيم – بعنوان الهجرة النبوية واستراتيجية العمل الإسلامي .

التخطيط للهجرة والدرس المستفاد :

إن الإسلام دين يدعونا دائما إلى الأخذ بالأسباب فى كل الشئون ، الخاصة والعامة ، بل وفى كل مناحى الحياة ، والرسول (ﷺ) هو المثل والقدوة فى ذلك (فلا يعرف التاريخ بشرا أحق بنصر الله تعالى وأجدر بتأييده مثل الصادق الأمين محمد بن عبد الله (ﷺ) الذى لاقى فى جنب الله الكثير ومن هنا كان على قمة أولى العزم من الرسل ، ومع ذلك ، فإن استحقاق التأييد من الله لا يعنى التفريط قيد أنملة فى استجماع أسبابه وتوفير وسائله ، ومن ثم فإن رسول الله (ﷺ) قد أحكم خطة الهجرة ، وأعد لكل شئ عدته ، ولم يدع فى حسبانه مكانا للحظوظ العمياء ، فشأن المؤمن الواعى مع الأسباب المعتادة أن يقوم بها كأنها كل شئ فى النجاح ثم يتوكل على الله بعد ذلك ، لأن كل شئ لاقيام له إلا بالله تعالى فهو الذى يقول للشئ كن فيكون) (١)

ولما كان الرسول (ﷺ) آخذا بكل الأسباب التى من شأنها حراسة الدعوة ، وتأمين الدين الذى يدعوا إليه كان نصر الله تعالى دائما معه ، وعلى الدعاة – خصوصا – والمسلمين عموما أن يتعلموا من هذا الدرس لتسلم دعوتهم من الاخطار .

من الجنود التى اتخذها النبى (ﷺ) فى هجرته :

ومن الوسائل التى أو الأسباب التى أخذ بها النبى (ﷺ) فى هجرته ما يؤمن الدعوة الجديدة ويحرسها من عبث العابثين ،وخطر الظالمين ، ومن ذلك أنه (ﷺ) أخذ عليا بن أبى طالب رضى الله عنه لينام فى فراشهَ حتى يظن الأعداء أنه (ﷺ) ما يزال فى مكانه فى داره نائما ، وكذا اتخاذه لأبى بكر – رضى الله تعالى عنه – ليكون رفيقا له فى هجرته ، كما كان لأسماء بنت أبى بكر – رضى الله تعالى عنها – دورا بارزا فى هذه الهجرة

---

(١) مجلة منبر الإسلام : السنة ٦٣ العدد ١ المحرم ١٤٢٥هـ يناير ٢٠٠٤ م – مقال بعنوان : الهجرة ومنهج التغيير : للشيخ / فكرى حسن إسماعيل – ص٤٢

المباركة ، وكذا عامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، واختيار الغار كل ذلك يدعونا إلى القول بأن النبى (ﷺ) (فى هذه الهجرة ظهر أنه (ﷺ) من كبار الساسة الذين لا يغلب دهاؤهم ، ولا يضعف احتمالهم ، ولا تضيع جهودهم ولا يخدع رأيهم ، ولا يطيش صوابهم ولذلك فإن القوم ذهلوا حينما علموا أن النائم فى مكانه " علىٌ " وكانت هذه أول هزيمة أصابتهم فى الصميم ، وجعلت روحهم المعنوية هزيلة كئيبة) (١) .

وهذا التخطيط المحروس بهداية الوحى والذى اتخذه النبى (ﷺ) أساسا فى هجرته يدعونا إلى القول بأنه من الأحرى بالمسلمين أن يخططوا لدينهم ولحياتهم ، وأن يكون لديهم من حسن التدبير والتصريف ما يجعلهم بحق ، أن يكونوا من المتوكلين الآخذين بالأسباب فإن (من يقرأ سيرة النبى (ﷺ) يجد أنه كان يعد لكل أمر عدته ، ويهئ له أسبابه وأهميته ، آخذا حذره ، مقدرا الاحتمالات كافة ، واضعا ما أمكنه من الاحتياطات ، مع أنه (ﷺ) كان من أقوى المتوكلين على الله سبحانه)(٢) .

التخطيط للهجرة فى أسمى قمته :

وفى الهجرة يتجلى بوضوح قانون السببية ، والذى جعل منه النبى (ﷺ) أساسا من الأسس العظيمة التى بنى عليها خطته .

يقول الشيخ محمد الغزالى : إن هذا القانون فرض نفسه فى الهجرة ، فلم يقل النبى (ﷺ) إننى ومن معى أوذينا فى الله طويلا وأخرجنا من ديارنا كرها ، فعناية السماء يجب أن تلاحقنا لم يقل النبى(ﷺ) شيئا من هذا ، وإنما وضع الخطة كاملة ، فكل ما يمكن أن

(١) من فيض الرسالة : للدكتور / ابراهيم على ابو الخشب – مرجع سابق – ص١٣٧ بتصرف .

(٢) مجلة منار الإسلام : مرجع سابق – مقال بعنوان : الهجرة النبوية واستراتيجية العمل الإسلامى – ص ١٥ مرجع سابق .

يصنعه الإنسان العادى ليتجنب الأخطار وليبتعد عن مكايد العدو فعله النبى (ﷺ) وما ترك ثغرة ، ولا أبقى فى خطته مكانا يكمله الذكاء ، وإنما فعل ما فى طوق البشر ، فاتخاذ الأسباب دين ، وهذا هو الذى جعل الرسول (ﷺ) يفكر فى الإختباء فى الغار ، وفى تضليل أعدائه ، فكان يتجه جنوبا وهو يريد أن يتجه إلى الشمال ، وفى اتخاذ راحلتين قويتين مستريحتين حتى تتمكنا من السفر الطويل ، وتحمل وعثاء الطريق ، واتخاذ دليل مدرب حتى يعرف ما هنالك من الطرق والأماكن التى يمكن التعريج عليها بعيدا عن الأرصاد ... وكيف يضلل من يبحثون عنه)(١).

وهذا يدلنا على أن اتخاذ الأسباب إنما هو من صميم ديننا ، وبه تكون النتائج المرضية ، وإن تخلفت النتيجة ، أو كانت على غير ما يرام كان الرضا بها والصبر على تحملها ، فليكن فى معلومنا أن الأخذ بالأسباب أمر أوجبه الإسلام ، لأن (قضية السببية فرغ منها الإسلام ، وقرر أنها حق ، لكن موقف المؤمن والكافر من السبب يختلف بعد ذلك ، فالمؤمن بعد أن يتخذ الأسباب كاملة لا يعول عليها ، ولا يربط نفسه بها ولا يظن أنها هى التى تفعل أو تترك ، بل يؤمن بأن الأمور بيد الله – تعالى – وأن النتائج تتم بقدرة الله ، وأن هناك أسباب أخرى ليست فى يد الإنسان ، والله – عز وجل – هو الذى يوفرها ويكثرها لمن أراد أن ينجح قصده) (٢) .

وأما الكافر والعياذ بالله – فإنه يعلق النتائج دائما على الأسباب ، فإذا تخلفت النتيجة عنده عن السبب ، لا يرضى ، وإنما يكون جزعاً وساخطا وشتان بين هذه العقيدة وتلكم العقيدة .

---

(١) خطب الشيخ / محمد الغزالى " فى شئون الدين والحياة " مجلد ٢ – ص ١٢٦ ، ١٢٧ بتصرف يسير طبعة دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة .

(٢) السابق : ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

من مظاهر إحكام الخطة فى الهجرة :

ومن خلال القراءة الجيدة لاحداث الهجرة يظهر لنا بوضوح أن إحكام الخطة ودقتها يتجلى فى عدة مظاهر من اهمها :

١ – المبايعة التى عقدت بين النبى (ﷺ) وبين الأوس والخزرج ، والتى من خلالها لما كان الاطمئنان إلى المهجر الجديد الذى يذهب إليه (ﷺ)

٢ – (ومن إحكام الخطة ودقتها وذكائها إيهام قريش أن النبى(ﷺ) راقد فى فراشة ، فلم يترك الفراش خاليا ...

٣ – اطمأن إلى الرفيق الذى سيصحبه فى رحلته الجاهدة بما فيها من اخطار وما تحمله من مفاجات ، ولم يكن هناك أفضل من أبى بكر – رضى الله عنه –

٤ – رتب النبى (ﷺ) الدليل الذى يدل على الطريق ، وما فيه من منعطفات وغابى يمكن أن تضلل عن أعين الطالبين) (١) .

٥ – اتخاذ غارثور بالذات لأنه يقع فى اتجاه مغاير لاتجاه المدينة وذلك ليضلل الأعداء ويبعدهم عن وجهته (ﷺ)

وفى ذلك يقول الشيخ محمد الغزالى (واتفق الرسول (ﷺ) مع أبى بكر على تفاصيل الخروج وتخير الغار الذى يأوون إليه ، تخيروه جنوبا فى اتجاه اليمن لتضليل المطاردين ، وحددوا الأشخاص الذين يتصلون بهم فى أثناء اللجا ومهمة كل شخص) (٢) .

أرأيت إلى هذه الخطة المحكمة والمدروسة والتى اتخذت من قانون السببية أساسا لنجاحها ؟ فكانت هى الحارسة والأمينة على صاحب الدعوة ومن معه .

---

(١) مجلة منار الإسلام : مرجع سابق – ص ١٦ بتصرف .

(٢) فقه السيرة : لفضيلة الشيخ / محمد الغزالى ص ١٧٤ .

جنود الهجرة وتبادل الأدوار فى سبيل نصرة الدعوة :

كان جنود الله من البشر يتبادلون الأدوار فى خدمة الدعوة ، وفى خدمة صاحب الهجرة عليه السلام فدور هؤلاء الجنود لا يخفى على أحد ، وكتب السيرة زاخرة بمواقفهم العظيمة والمشرفة ولا مجال هنا لسردها ، لكن يكفى أن نقول إن بيت أبى بكر كان كله فى خدمة الهجرة، وفى خدمة الدعوة ، فأبو بكر – الصحبة – لا ينس دوره ، وولده عبد الله كان جنديا يستطلع الأخبار فى مكة ، ثم يأتى بها لرسول الله (ﷺ) وصاحبه – وأسماء بنت أبى بكر – رضى الله تعالى عنهما – هذه التى اتسمت بالذكاء والحنكة وحسن التصرف ، لا يخفى دورها على أحد فى هذه الهجرة الميمونة ، ويكفى أن نقول إن ما فعلته أسماء – رضى الله عنها – فى شقة نطاقها لتربط صرة الطعام بنصفه ، وتتمنطق بنصفه الآخر ، وماردت به على جدها أبى قحافة لما سألها ما ترك لكم أبوكم ، كل هذا دليل على زكاءها وحسن ولائها للدعوة الجديدة .

كذا عامر بن فهيرة – مولى أبو بكر وراعى غنمه – كان يروح بالأغنام إليهما ليعفى على أثر أسماء وأخيها عبد الله ، ويطلع رسول الله(ﷺ) وصاحبه على ما معه من أخبار يتسمعها من رعاة قريش .

ويصف الأستاذ : عباس العقاد هذا الصحابى الجليل – أبو بكر – رضى الله تعالى عنه – فيقول (لم يكن الصديق بالجبان ، ولا بالشجاع الذى نصيبه من الشجاعة قليل ، بل كانت شجاعته تفوق شجاعة الأبطال المعدودين فى الجاهلية والإسلام ، فثبت مع النبى (ﷺ) فى كل وقعة حين ولّى من ولّى وأبطأ من أبطأ ، وغامر بحياته فى حروب الردة وله مندوحة عن خوضها ، ولم يذكر فى أخباره قط خبر نكول أوخوف على حياة ومال.

ولم يكن شيخا فانيا متابعا لكل قديم ، ولا حدثا صغيرا تطيش به شرة الشباب حين دعاه إلى دينه وهداه ، بل كان رجلا ناضجا فى بسطة الرجولة ، يفقه الامور ويعتدل بين الصبا الباكر والكهولة المولية، ويزن القول بفهم نافذ وحكم صادق ، وعقل راجح يعرف الترجيح (١) .

ومن كانت هذه شمائله كان أمينا صادقا ، وبراتقيا ، ولا غرو فكانت حراسة الصديق رضى الله تعالى عنه لدين الله أجل من أن يكتب فيها بالمداد ولذلك فاقت مناقب هذا الصحابى كل تصور ، ومناقبه رضى الله عنه مسطورة فى كتب السيرة والسنة ، ومن أرادها فليرجع إليها فى مظانها الصحيحة .

كذا على بن أبى طالب – رضى الله عنه – لا تنس شجاعته ، هذا الصبى الصغير ، كان بحق فى الهجرة جنديا كبيرا إذ هو يضحى بنفسه من أجل الدعوة والعمل على التمكين لها .

هؤلاء الجنود كانوا – بحق – دعاة مخلصين وجنودا صادقين ، لانهم باعوا أنفسهم وأموالهم لله – تعالى .

أما دور الراحلتين ، والغار والعنكبوت والحمام – وإن كان للبعض كلام على العنكبوت والحمام – إلا أنها أيضا جنود ، هيأنها المولى – جل جلاله للقيام بدورها ، ولتنصر الهجرة وتمكن للدعوة .

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢)

---

(١) عبقرية الصديق : للاستاذ : عباس عمود العقاد – ص ٨٨ الطبعة الثامنة – ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٦م – دار المعارف بمصر .

(٢) سورة التوبة : آية رقم : ٤٠ .

الهجرة وعالمية الدعوة

لم تكن الهجرة كما قلنا فرارا بالنفس والمال وإنما كانت فرار بدين الله – عز وجل – إلى أرض جديدة ، صالحة لانتاج ثمرات طيبة ، ولبعث جديد ، يعم على العالم كله بالخير والصلاح .

هذا البعث الجديد لا ينمو ولا يصلح إلا فى مجتمع امن مستقر ، ومن هذا المجتمع الآمن المستقر تنطلق الدعوة المباركة ، لتسير بأمر ربها – إلى كل بقاع الدنيا ، وإلى أن تقوم الساعة ، ليعيش الناس حياة كريمة ، صالحة للأخذ بأيديهم إلى ما فيه صلاح الإنسانية ، صلاح العباد والبلاد ، حياة تعرف معنى الإنسانية الحقة كما يريدها الإسلام .

وهذا بالفعل ما حدث فى المجتمع المدنى حين باركه النبى (ﷺ) واستقر فيه ، فلقد بدأ فى المدينة عهد الأمن والإستقرار فأخذ النبى(ﷺ) يضع قواعد المجتمع الصالح(وأيقن (ﷺ) أن الله قد أذن لدينه بالنصر ، وأن العقيدة التى ظل يضع قواعدها ثلاثة عشر عاما على أساس الإيمان الصادق بالله وحده قد آن لها أن تؤتى ثمارها ، وأن تظهر آثارها فى الفرد والجماعة – عملاً صالحاً ينقطع به الفساد ويعم الصلاح، ويمحىٌ به الشر وينتشر الخير ، فليس الشأن فى العقيدة أن تكون فكرة تستقر فى طوايا النفس ، وتكمن فى خفايا الضمير فحسب ، إنما هى فكرة تهيمن على النفس ، فتملكها من جميع أقطارها، حتى يندفع صاحبها إلى العمل بها فى امر ظاهره وباطنه ، وفى جليله وحقيره ، وفيما يتصل بشئون نفسه أو بشئون غيره ، سواء فى ذلك قريب الناس وبعيدهم ، ومن يشاركه فى العقيدة أو يخالفه فيها ، وليس للعقيدة قيمه قط إذا لم يكن صاحبها ترجمة عملية لها ، فى كل ما يأتى وما يدع ، وما يخفى وما يعلن)(١) .

---

(١) صورة من حياة الرسول (ﷺ) : للإستاذ / أمين دويدار – ص٢٥٦ – ط : الرابعة – دار المعارف بدون تاريخ .

ولقد حرص رجال الهجرة المباركة على ان يكونوا ترجمة عملية فى دنيا الناس تؤلف بين قلوبهم المحبة، وتجمعهم المودة، ينشرون الأمن ويذيعون السلام فى كل ربوع الدنيا ، كل ذلك بفضل العقيدة والدعوة التى إنطلقوا بها (فرجل العقيدة يسير طوعاً لها ، ويجد طمأنينته حيث تستقر عقيدته وتلقى الرحب والسعة، ، والناس ينشدون سعادتهم فيما تعلقت به هممهم وجاشت به أمانيهم وهم ينظرون إلى الدنيا وحظوظهم منها على ضوء ما رسب فى نفوسهم من عواطف وأفكار ، فطالب الزعامة يرضى أو ينقم ، وينشط أو يكسل بمقدار قربه أو بعده من أجله الحبيب) (١) .

ولا شك أن الأمل الذى ينشده صاحب الهجرة وصحابته الكرام هو أن يعم الخير ، وينتشر الأمن على الدنيا كلها ، وعلى العالم بأسره ، على إختلاف الوانهم واجناسهم وتعدد لغتهم وتباين عقائدهم .

إن هذا النوع الذى أفرازته العقيدة الحقة، والذى تربى على مائدة الدعوة العامة التى تبغى الخير للعالم باسره (لا يطيق الكف عن إسداء الجميل ، وبذل النصيحة ، ورعاية الصالح العام ، وإفناء ذاته فى سبيل الفضائل التى ملكت لبه وعمرت قلبه ، أن يبيت سهداً لو فرط فى واجب، فراحته الكبرى فى نشدان الكمال وسعادته القصوى يوم يدرك منه سهماً ... وصاحب الرسالة العظمى محمد بن عبد الله (ﷺ) ضرب من نفسه المثل الفذ للمكافحين ، فمنذ أخذ على عاتقه تمزيق الأسداف التى ألقت فى العالم ليلاً كثيفاً من الشرك والخرافة ، لم يفلح أحد فى ثنيه عن عزمه ، أو تعويق مسيره أوترضيته برغبة أو ردعه برهبة ، بل فنيت أمام عينيه فوارق الزمان والمكان ، فالغريب عنه إذا عرف الحق قريب ،ووطنه إذا تنكر للهدى فهو منه برئ ، والمؤمنون به أخر الدهر إخوانه وإن لم يشاهدوه .

---

(١) فقه السيرة : لفضيلة الشيخ / محمد الغزالى – ص١٨٣ – ط : الأولى دار الريان للتراث سنة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

ولقد عاش في مكه ثلاثة وخمسين عاماً حتى ألفها وألفته ، لكنه اليوم يخرج منها إلى وطن جديد يرى فيه امتداد قلبه وثمار غرسه ، والرجال الذين تنبع سعادتهم من قلوبهم ويرتبطون أمام ضمائرهم لا يكرمون بيئة بعينها الا أن تكون صدى لما يرون) (١)

كانت الهجرة إذن فراراً بدين الله – عز وجل – إلى الله عز وجل ، فرارا من أجل الخير والصلاح إلى ما فيه صالح الإنسانية كلها ، فرارا بهذا الدين لينتشر ويعم أرجاء المعمورة ، لتنال الإنسانية حظها من الخير العام والأمن والطمأنينة الشاملة.

لكن نفراً من الذين انتكست رؤسهم وخبثت نواياهم واسودت طواياهم يقللون من شأن الهجرة حتى يصلون بالزعم الذى يتشدقون به دائماً وهو بأن دعوة الإسلام غير عامة وغير شاملة ، وغير عالمية .

لكنا نقول لهم (لو أن دعوة الإسلام كانت قاصرة على مكة وإن مهمة محمد (ﷺ) كانت تنحصر في إقامة دولة ، وتأسيس مجتمع فوق مكة وحدها ، لكانت لغمزات أولئك الحاقدين ما يبررها ، لكن دعوة الإسلام لم تكن دعوة محلية ضيقة خاصة بمكة ، ولا إقليمية محدودة قاصرة على المنطقة العربية ، وإنما هي دعوة عامة شاملة ، تهدف إلى خير البشرية والإنسانية في كل زمان ومكان) (٢) .

---

(١) فقه السيرة : لفضيلة الشيخ / الغزالي ص ١٨٤، ١٨٥ بتصرف واختصار ، وانظر مقدمة قبل هجرة النبي (ﷺ) : للإستاذ / علي الخطيب – ص ١١، ١٢ " هدية مجلة الأزهر العدد ١٧١ المحرم ١٤١٥ هـ إبريل ١٩٩٤ م .

(٢) الهجرة بداية مراحل التحول والإنطلاق : د / محمد عبد الله السمان – ص٣٠ – ط : مجمع البحوث الإسلامية – الكتاب السادس والأربعون المحرم سنة ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م .

المستشرقون يقللون من شأن حادث الهجرة :

جرى المستشرقون ومن يسير فى ركابهم فى عداوتهم وكيدهم للإسلام فى كل حادثة من أحداثه وكل شأن من شئونه وكل قضية من قضاياه على طريقة الهمز واللمز والغمز ، والتقليل والحط من شأنه وفضائله وأخلاقياته .

فهؤلاء المعتصبون لباطلهم وجنسهم ، كما يغمزون الإسلام ويلمزونه فى عقائده وتشريعاته وفضائله – يفعلون نفس الشئ فى تاريخه وأحداثه فـ (يطيب لكثير من المستشرقين من ذوى الاهواء وكتاب الغرب المتعصبين أن يقللوا من شأن هذا الحدث الخطير العظيم ، بل أيضاً ، ويحاول هؤلاء أن يعتبروا الهجرة سلوكا يعتوره الجبن ، فهم يطلقون على الرسول (ﷺ) وصاحبه ابى بكر – رضى الله تعالى عنه – " الفارين " ، " الهاربين " وقد يكون من المستساغ إستعمال لفظ "الفرار" ما دام الفرار إلى الله ، ولم تكن الهجرة الإفراراً إلى الله ، وقد ورد فى القرآن الكريم هذا اللفظ على لسان نوح – عليه السلام – فقال تعالى " فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ " (١) .

لكن المستشرقين وكتاب الغرب المتعصبون لم يقصدوا هذا المعنى السامى الذى ورد فى الآية الكريمة ، وإنما يقصد معظمهم المعنى المضاد الذى يعنى الجبن .

كما أنه ليس من المستساغ إستعمال لفظ" الهاربين " لأن الهرب لا يحمل إلا معنى واحد هو الجبن ، والحرص على النفس ، ولا يحاول هؤلاء أن يقنعوا أنفسهم ، بل عقولهم بأن الهجرة كانت ضرورة ملحة كمرحلة إنتقالية ، بل مرحلة تحول لانطلاق نحو آفاق واسعة " لأن الأهواء قد رصدت نفوسهم وأضلت أفهامهم) (٢) .

---

(١) سورة الذاريات : آية رقم : ٥٠ .

(٢) الهجرة بداية مراحل التحول والإنطلاق : مرجع سابق – ص٢٩، ٣٠ بتصرف .

هؤلاء لو أنصفوا فى رؤيتهم لحادث الهجرة ، لعلموا أن فيه الخير والصلاح ، والنجاة وخيره وصلاحه يكمن فى الحفاظ على الدعوة التى أراد الله - عز وجل - لها الإنطلاق ، والإنتشار ليعم خيرها على الدنيا كلها.

كذلك يريد الإسلام من وراء دعوته العالمية أن يكفل الحرية لكل ذى دين فمبدأ " لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ " (١) من المبادئ العظيمة التى تكفل الكرامة والحرية لكل أصحاب الديانات ماداموا يسالموننا

كذا لو علم هؤلاء ما كان بين أهل المدينة وبين عشائرها - المدينة وحدها من التنافر والتناحر وما أحدثه النبى (ﷺ) من تآلف وتوحد بين أهلها لعلموا أن الخير كل الخير فى هذه الهجرة المباركة ليس على المدينة وحدها بل على العالم بأجمعه حيث التمكين لدين الله - عز وجل - الذى فيه خيرى الدنيا والآخرة .

يقول الدكتور / محمد حسين هيكل عن النبى (ﷺ) وما أحدثه من تحول بعد الهجرة بنى محمد (ﷺ) مسجده ومساكنه - ثم جعل يفكر فى هذه الحياة الجديدة التى استفتح والتى نقلته ونقلت دعوته خطوة جديدة واسعة فقد ألفى هذه المدينة وبين عشائرها من التنافر مالم تعرف مكة ، لكنه ألفى قبائلها وبطونها تصبوا إلى حياة فيها من السكينة يجنبها الخلاف والحزازات التى مزقتها فى الماضى شر ممزيق ، وما يهئ لها فى المستقبل طمأنينة معها تكون أوفر من مكة ثروة وأعظم جاهاً ، وما كانت ثروة يثرب ولا كان جاهها أول ما يعنى به محمداً (ﷺ) إنما كان همه الأول والآخر هذه الرسالة التى ألقى الله عليه تبليغها والدعوة إليها والإنذار بها) (٢) .

---

(١) سورة البقرة : آية رقم ٢٥٦ .

(٢) حياة محمد (ﷺ) : للأستاذ الدكتور / محمد حسين هيكل - ص١٨٥، ١٨٦ بتصرف يسير .

إن ما كان يصبوا إليه النبى (ﷺ) هو حفظ الأمن وتوفير الإستقرار لأهل المدينة وما حولها مسلمين وغير مسلمين ، (فى هذا كان يفكر محمد (ﷺ) أو طمأنينته إلى مسكنه بيثرب ، وإلى هذا كانت نتيجة سياسته ، وفى هذا الإتجاه يجب أن يترجم لحياته ، هو لم يكن يفكر فى ملك ولا فى مال ولا فى تجارة وإنما كان همة توفير الطمأنينة لمن يتبعون رسالته ، وكفالة الحرية لهم فى عقيدتهم ككفالتها لغيرهم فى عقيدتهم ، يجب أن يكون للمسلم واليهودى والنصرانى سواء فى حرية العقيدة ، وفى حرية الراى والدعوة إليه فالحرية وحدها هى الكفيلة بانتصار الحق وبتقدم العالم نحو الكمال فى وحدته العليا ، وكل حرب للحرية تمكن للباطل وتنشر لجيوش الظلام لتقضى على جذوة النور المضيئة فى النفس الإنسانية والتى تصل بينها وبين الكون كله من أزله إلى أبده ، صلة اتساق ومحبة ووحدة ، لا صلة نفور وحرب وفناء) (١) .

ذلك ما كان يحبه النبى (ﷺ) ويدافع من أجله ، وهو ما كان يرمى إليه .

فهل يوجد فى ذلك ما يشين ؟

ومع ذلك نجد أن نفراً من المستشرقين المتعصبين وهم من الكثرة بمكان يعدلون عن الحق ويجنحون إلى الباطل ، فيقللون من شأن حادث الهجرة ، ويتهمون الاغراض والاهداف النبيلة التى هاجر النبى(ﷺ) من أجلها بتهم باطلة ليقللون من شانها .

التقليل من شأن الحدث يعنى محلية الدعوة وخصوصيتها : -

إن التقليل من شأن حادث الهجرة يعنى محلية الدعوة وأنها خاصة وليست بعامة مع أن العموم من أخص سماتها ، قال تعالى " وما أرسلناك

(١) السابق – ص ١٨٦ .

إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون "(١) وفى عموم الدعوة وشمولها ما يبرر الهدف النبيل الذى كانت من أجله ، وهذا الهدف هو ما يعنى الخير للبشرية كل البشرية ، وعدم ضياعها وإنسياقها وراء الباطل .

يقول الشيخ / محمد الغزالى (ولقد كانت بعثة محمد (ﷺ) رحمة عامة لأنها أهدت إلى البشر جملة من الحقائق التى يفتقرون إلى معرفتها واستصحابها ، فوفرت عليهم عناء التيه فى دروب من الباطل لا حصر لها ألم يجعل الحق فى متناول اليد ؟ والنفع المنشود ميسورا فى العاجلة مضمونا فى الآجلة والحقائق التى تضمنتها الرسالة الإسلامية تمتاز بالشمول والوعى فهى لم تدع ثغرة لباطل تفسد على الناس عقائدهم وأعمالهم سواء فى المجال النفسى أو الإجتماعى أو السياسى) (٢) .

إن الدعوة التى تنظر إلى الإنسانية هذه النظرة التى تأخذ بأيديها إلى الحق ، وتزوى بها عن الباطل لجديرة بأن تكون عامة وشاملة لأنها لا تنظر إلى جنس بعينه أو إمة بعينها ، وهذا ما احتوت عليه دعوة الإسلام.

محلية الدعوة وخصوصيتها تجردها من الخير لغير المسلمين : -

ولو فهم هؤلاء أن محلية الدعوة أو خصوصيتها التى يزيدونها ويلحون عليها تجردها من الخير لغير المسلمين لما تقولوا بما قالوه ، فالثابت قطعاً هو أن (صلة الإمة بالاجانب عنها ، والذين لا يدينون بدينها أمر لم ينكره أحد ، فإن الرسول (ﷺ) قدسَنَّ فى ذلك قوانين السماح والتجاوز التى لم تعهد فى عالم ملئ بالتعصب والتفاخر ، والذين يظن أن الإسلام

(١) سورة سبأ : آية رقم : ٢٨ .

(٢) ركائز الإيمان بين العقل والقلب : للشيخ / محمد الغزالى –ص ١١١، ١١٣ – ط : الإعتصام إيداع ١٩٧٣ م .

دين لا يقبل جوار دين آخر ، وأن المسلمين قوم لا يستريحون إلا إذا انفردوا فى العالم بالبقاء والتسلط هو رجل مخطئ ، بل متحامل جرئ ، فعندما جاء النبى (ﷺ) الى المدينة وجد يهودا توطنوا ومشركين مستقرين فلم يتجه فكره إلى رسم سياسة للإبعاد أو المصادرة أو الخصام، بل قبل – وعن طيب خاطر – وجود اليهودية والوثنية ، وعرض على الفريقين أن يعاهدهم معاهدة الند للند ، على أن لهم دينهم وله دينه) (١).

فهل تعد الهجرة غير رائجة فى حق هؤلاء ؟

وكتب التاريخ والسيرة على كثرتها شاهدة بذلك بل ولم ينكره حتى الأجانب من غير المسلمين ونقتطف من السيرة لإبن كثير بعض ما فى المعاهدة التىكانت بين الرسول (ﷺ) وبين اليهود (وقال محمد بن إسحاق : كتب رسول الله (ﷺ) كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم ، واشترط عليهم واشترط لهم..ومن بنودها .. وإنه من إتبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم .. وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم الا من ظلم وأثم لا يوتغ(٢) إلا نفسه وأهل بيته .

وإن ليهود بنى النجار وبنى الحارث وبنى ساعدة وبنى جُشم وبنى الأوس وبنى ثعلبة وجفنة وبنى الشُطيبة مثل ما ليهود بنى عوف ..

وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم .

وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة .

---

(١) فقه السيرة : للغزالى – ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٢) يوتغ أى يهلك .

وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ..

وإن النصر للمظلوم ، وإن الجار كالنفس غير مضار وإلا اثم ..

وإن النصر على من دهم يثرب .

وإن من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة الا من ظلم أو أثم .

وإن الله جار لمن بَرَّ وا تقى (١)

هذه بعض مقتطفات المعاهدة التى أخذت بين الرسول (ﷺ) والمؤمنين من جهة وبين اليهود خصوصاً وغير المسلمين من سكان المدينة من جهة أخرى .

فهل فيها إجحاف بحق أحد ؟ وهل فيها ما يشين ؟

الحق أنه لولا الهجرة ما كانت هذه المعاهدة مع أهل المدينة .

ولولا عالمية الدعوة ما كان هذا الحق لليهود بل وما كان هناك حق للإنسانية كلها فلو ظلت الدعوة محلية قابعة بين ربوع مكة وفقط ، ما جنى اليهود وغيرهم هذا الخير الكبير وذاك النفع العميم ، لكنه الحقد على الدعوة وعلى صاحبها بل وعلى الإسلام كله والمسلمين أجمعين .

---

(١) السيرة النبوية : للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير – ج٢ – ص ٣٢٠-٣٢٣ – باختصار تحقيق : مصطفى عبد الواحد – ط ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م – دار المعرفة بيروت – لبنان .

الجوانب العملية للدعوة من خلال حادث الهجرة :

١ – نحن فى حاجة إلى أن نحل صاحب الهجرة وصحابته وأن نسير على طريقهم ، نحن فى حاجة ماسة لمعرفة الدور العظيم – دور الهجرة – الذى قام به سيد الرسل والخلق أجمعين محمد بن عبد الله – عليه الصلاة والسلام – هذا النبى العظيم خاتم رسل الله ، الذى كانت تتفجر الرحمة من بين جوانحه لتسع الدنيا كلها ، ولتجعل الإنسانية فى إتصال دائم ، تعرف من خلاله المعانى الكبيرة التى تعيش بها الإنسانية على إختلاف ألوانها وألسنتها وعقائدها فى أمن واستقرار .

وإذا نظرنا إلى تاريخ الإنسانية فإننا نجد الدعاة والمصلحين وهم كثيرون ، كل منهم تفرد بميزة عن غيره ، حتى الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، كانوا يعالجون ما تفشى من رذائل وأمراض فى عصورهم ، والقرآن الكريم شاهد بذلك (فلله عز وجل رسل كثيرون قاموا بواجب الدعوة إليه ، وتوارثوا كابراً عن كابر هداية الخلق ونصرة الحق ، فأنقذوا الناس من أنفسهم وعرفوهم إلى ربهم ، ولكن محمداً (ﷺ) كان بشخصه وطبيعة رسالته ، إمام الأنبياء ، وكان بحق سيد الدعاة إلى الله ، فما سر هذه العظمة ؟ وبم كان هذا الفضل المبين ؟

السر فى ذلك أن محمداً الرسول كلف أن يغرس فى قلوب من حوله إيمانا لا تستخدم فى غرسه إلا الوسائل المقدورة لطاقة البشر ، وقد استطاع ذلك من غير أن تتبدل الأرض غير الأرض ، على عكس ما حدث على عهد موسى مثلاً ، إذ رفع الطور فوق رؤس الناس ليؤمنوا بالله ويعطوا على ذلك الموثق قال تعالى " وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "(١) وكما كان

---

(١) سورة البقرة : آية رقم : ٦٣ .

نبينا بين أتباعه بشرا رسولا ، فقد كان كذلك مع أعدائه لم تسخر ضدهم قوى السماء على كثرة ما لحقه منهم من إيذاء) (١) .

وهذا درس للدعاة إلى الله – عز وجل – فنبي يهاجر بقوم مستضعفين ، يتركون المال والديار والوطن ، ومع هذا يسع قلبه الكبير كل ما حوله، فهل الدعاة الآن على استعداد لأن يكونوا على هذا المستوى؟

إن حدث ذلك كانت الدعوة على خير ما تكون وعلى أفضل ما يرجى إليها .

إن الواجب على الدعاة هو اتباع النبي (ﷺ) في دعوته سواء أكانت بالحال أو المقال فهو الأسوة والقدوة قال تعالى﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (٢).

٢- نحن في حاجة إلى أن نكون على مستوى الهجرة :

إن المستوى العظيم الذي منحه المولى – تبارك وتعالى – لمجتمع المدينة – مهاجرين وأنصار – هو المستوى الذي ينشده كل صاحب دعوة حقة ، هذا المجتمع الممتاز حصّل مرتبة الرضى من الله – سبحانه وتعالى– وهل بعد مرتبة الرضا من الله ، وعن الله – عز وجل – مرتبة ؟ هل بعد رضا الله عز وجل شئ ؟

إن رضا الله سبحانه وتعالى – هو السعادة التي لا تدانيها سعادة ، هو الفوز العظيمم الذي لا يعدله أويقاربه فوز .

---

(١) تأملات في الدين والحياة : للشيخ محمد الغزالي ص ٧٣، ٧٤ – ط : الرابعة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع .

(٢) سورة الأحزاب : آية رقم : ٢١ .

ويقص الحق تبارك وتعالى علينا رضاه عن هؤلاء فى سورة التوبة فيقول عز من قائل ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١) .

يقول الأستاذ : سيد قطب فى شرحه لهذه الآية الكريمة : (ولكن الله الذى كان يدبر لهذا الأمر ويرعاه – أمر الهجرة – كان قد أعد العصبة المؤمنة من المهاجرين والأنصار لتكون هى القاعدة الأمينة لهذا الدين ... وهذه الطبقة من المسلمين ... بمجموعاتها الثلاث " السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان " كانت تؤلف القاعدة الصلبة للمجتمع المسلم فى الجزيرة بعد الفتح ... وكانت هى التى تمسك المجتمع كله فى كل شدة ، وفى كل رخاء كذلك : فابتلاء الرخاء كثيرا ما يكون أصعب وأخطر من ابتلاء الشدة) (٢) .

وعلينا إذا أردنا مرتبة الرضا من الله سبحانه – أن نسير فى ركب هؤلاء المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بإحسان ، واتباعنا لهذه الفئات يستدعى منا أن نشمر عن ساعد الجد ، كما شمر هؤلاء وهم فى غاية الإبتلاء ، وعلينا أن نعلم أن هؤلاء وفوا لله – عز وجل – فوف الله سبحانه وتعالى لهم . قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة التوبة : آية رقم : ١٠٠ .

(٢) فى ظلال القرآن للأستاذ / سيد قطب – ج٣ – ص ١٦٩٨، ١٧٠٢ باختصار – ط الثالثة عشرة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧ م دار الشروق .

(٣) سورة التوبة : آية رقم : ١١١ .

٣ - **نحن فى حاجة إلى هجرة ، وهجرتنا تكون بترك المعاصى والقيام بالتبعة ، وتحمل المسئولية خير قيام** ، كما قام بها النبى (ﷺ) وصحابته الكرام ، فالدروس التى عرفناها من خلال تحملهم لصنوف وألوان الأذى والعذاب توقفنا على مدى معرفتهم بمسئولية الدعوة التى نيطت بهم ، والتى شرفهم الله - تبارك وتعالى - بها.

(كيف ترك الصحابة أوطانهم العزيزة مع أن فراق الوطن شديد على النفوس ، بحيث أنهم لم يرجعوا إلى أوطانهم إلى الموت أو كيف كان ذلك أحب إليهم من الدنيا ومتاعها أو كيف قدموا الدين على الدنيا، فلم يبالوا بضياعها ، ولم يلتفتوا إلى فنائها ؟ وكيف يفرون من بلاد إلى بلاد احتفاظا لدينهم من الفتنة ، وكأنهم كانوا قد خلقوا للآخرة ، وكانوا من أبنائها ، فصارت الدنيا كأنها خلقت لهم) (١)

فهل نحن على استعداد لأن نهاجر بالدعوة إلى الله تعالى كما فعل هؤلاء ؟

الحق أن من يهاجر الآن من أجل الدعوة إلى الله تعالى إنما هم نفر قليل ، وأما الكثير ، فهم طلاب دنيا ، طلاب مال أو طلاب شهرة ، وهذه آفة الدعوة ، فيوم أن تكون من أجل جمع مال ، أو ذيوع شهرة ، فلا خير فيها ، ولا ثمرة تجنى من ورائها .

٤ - نحن فى حاجة لمعرفة أن الهجرة من أجل هداية الخلق إلى الحق :

ويجب أن يعلم الدعاة إلى - تعالى - أن هجرتهم تكون من أجل الهداية لا من أجل جباية مال أو شهرة أو ذيوع صيت ، يجب أن نعرف :

---

(١) حياة الصحابة : ج١ - ص ٣٦٥ .

كيف نهاجر إلى الله تعالى بالدعوة إلى الإسلام ؟ أو ما هى الضوابط الحاكمة لمن يهاجرون من أجل الدعوة ؟

إن من ينظر إلى هجرات الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، يعلم علم اليقين أن هجرتهم إلى الله – عز وجل – كانت من أجل هداية الخلق إلى دعوة الحق ، لا من أجل جباية مال .

ولقد تواترت مقولة الأنبياء – عليهم السلام – على قول كل منهم ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١)

هذه الآية الكريمة قالها غير واحد من الأنبياء فى سورة واحدة (وما من نبي إلا كانت له حرفة يعيش فيها ، ولذلك فمن المعالم الأساسية على طريق النبوة أن الحضارة الإسلامية حضارة هداية وليست وسيلة جباية ، ومن هنا فإن عملية الاحتراف بالإسلام والأكل به وقبض ثمن العمل الإسلامى من أخطر التحديات التى تهدد الكيان الإسلامى ، وتواجه عالم المسلمين اليوم ، والفرق بعيد بين الذين يدفعون ثمن عقيدتهم ، وتكون حركتهم محكومة بقول الأنبياء ﴿ وما أسألكم عليه من اجر ﴾ وعمل الأنبياء ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) وبين الذين يحاولون قبض ثمن الدعوة ، سواء أكان ذلك داخل العمل أم من خارجة ، فالهجرة الإسلامية ، إنما هجرة هداية وليست هجرة جباية ... ولقد صور لنا القرآن الكريم هجرة الرعيل الأول بقوله : ﴿ للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الشعراء : آية رقم : ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠ .

(٢) سورة الأنعام : آية رقم ١٦١ ، ١٦٢

(٣) مقال بمجلة منار الإسلام : العدد ٣٤٩ بعنوان : الهجرة النبوية واستراتيجية العمل الإسلامى – ص ١٥ – للدكتور / ماجد عبد السلام إبراهيم .والآية رقم ٨ من سورة الحشر .

هذا هو منهج الأنبياء ، وهذا هو الخط الذى سلكه المهاجرون السابقون ، كما صوره القرآن الكريم ، أن تكون الهجرة لله ، ويبتغى الإنسان من ورائها فضل الله تعالى حتى تؤتى ثمارها ، التى هاجروا من أجلها ، ثم إن هؤلاء المدعوون عن طريق الهجرة إخوان للمهاجرين فلماذا يبتذون أموالهم ؟ أليست هجرة الصحابة إلى المدينة خير دليل على تنزههم عما فى أيدى إخوانهم الأنصار ، وطلبوا الرزق عن طريق الزراعة أو التجارة ، أو السعى فى الأرض بأى طريقة .

٥ – نحن فى حاجة إلى حياة جادة : –

ودعوتنا تتطلب منا حياة كحياة هؤلاء المهاجرين ، حياة فيها من الجد والكفاح ما يحرس الدعوة ويؤمن مسيرتها ، والمعروف أن فى النعيم رخاوة ، وفى الترف مفسدة ، وحياتنا الآن تنشد النعيم وتطلب الرخاوة أما حياة هؤلاء المهاجرين ، فنعيمها وترفها مرهون بذيوع الدعوة وانتشارها وتأمينها وحراستها ، (دخل الإسلام المدينة وأحزاب الكفر تطارده من كل ناحية ، فأوى المسلمون إلى مهجرهم كما يأوى الجندى إلى قلعته الشامخة ، وأخذوا يستعدون حتى لا تقتحم عليهم من اقطارها وهم تعلموا من السنين الغبر التى مرت عليهم فى مكة أن الضعف مدرجة إلى الهوان ، مزلقة إلى الفتنة ، والمرء لا يقدر العافية حق قدرها إلا بعد الابلال من المرض ، ولا يعرف قيمة الغنى إلا عند التخلص من ذل الحاجة) (١) .

والدعوة تتطلب منا حياة الكفاح الجاد حتى تصل بدعوتنا إلى ما يرجى لها ، فنحن فى حاجة إلى أن نعيد الإسلام بجده فهو عزنا وهو مجدنا ، وهو خلاصنا من كل ما يحاق بنا .

---

(١) فقه السيرة : للغزالى – ص ٢٢٤ .

٦- نحن فى حاجة إلى حفظ ذاكرتنا :-

نحن أمة ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١)

وهذه الآيات هى أول ما نزل من كتاب ربنا الذى هو دستورنا ومنهجنا ، وقائدنا وهادينا إلى طريق الله ، إلى صراط الله المستقيم .

والقراءة التى أمر بها رسول الله (ﷺ) وأمرنا أيضا بها هى سبيل التعلم والحفظ ، فلنحفظ الدور الذى كلفنا به تجاه دعوتنا وكما تنتفع الأمة بالحفظ والتعلم ، فهى تنتفع أيضا بالتذكير والتذكير قال تعالى مخاطبا نبيه - (ﷺ)" وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ" (٢) " فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ " (٣) والويل كل الويل لأمة تنسى ماضيها وتنسى أوامر ربها ، الويل لأمة تفقد ذاكرتها ، فإنها إذا فقدت ذاكرتها باءت - والعياذ بالله - تعالى - بالفشل الذريع ، فيجب علينا أن نتذكر هؤلاء المهاجرين ، وكفاحهم تحت القيادة الرشيدة ، قيادة النبى (ﷺ) حتى تأخذ منها درساً ينفعنا ، فدروس الماضى تنفع الحاضر .

٧- نحن فى حاجة لمعرفة أن الهجرة كانت من أجل الدين الجديد..

حينما نقرأ تاريخ الهجرة يتبين لنا أن الهجرة كانت من أجل دين الله ، أى إنها هجرة من أجل الله ولله ، هجرة من أجل العقيدة التى يود المشركون لها ألا تكون .

---

(١) سورة العلق : آية رقم : ١ : ٥ .

(٢) سورة الذاريات : آية رقم : ٥٥

(٣) سورة الأعلى: آية رقم : ٩ ، ١٠ .

يقول الأستاذ / أمين دويدار (لم تكون هجرة الرسول (ﷺ) إذن فراراً بنفسه من قريش ، إنما كانت فراراً بدعوته الحبيسة ، بعد أن وقفت قريش لها بكل سبيل ، تحول بينها وبين الظهور والإنتشار) (١) .

٨ – نحن فى حاجة إلى التأريخ بالهجرة :

وإذا كان لكل حدث قيمته ،فإن حادث الهجرة من أجل الحوادث وأعظمها ، فلولا الهجرة ما انتشر الإسلام ، والأمر ما ف (إن المسلمين اعتبروا الهجرة بداية تاريخهم فى هذه الحياة ، ولم يعدوا ميلاد نبيهم ، ولا بعثته مبدأ لذلك التاريخ الحافل البعيد .

لم يكن هذا التصرف إلا فقها منهم فى دينهم ، وبصيرا نافذاً فى معرفة حقيقته وتقديس روحه ، فالهجرة – سفر من مكة إلى المدينة – حادث لا يذكر ولا يقدر فكم فى الدنيا من أسفار أطول وأبعد مشقة من هذا السفر القاصد .

إنما روعة الهجرة أنها عقيدة وتضحية وفداء وكفاح ، وإصرار غريب على مغاضبة الدنيا السائرة الحاقدة ... ولو أدرك المسلمون من التاريخ بالهجرة هذا المعنى السامى ، ما اضطربت أحوالهم هذا الإضطراب المؤسف ... إن الهجرة حقيقة بأن تكون علماً على الإسلام ، لإنها كانت بما حدث فيها وبين يديها وخلفها المظهر العملى الصحيح للإسلام ، مظهر العقيدة والتضحية والحب والفداء لكننا للأسف نسينا الهجرة ، بل أهملنا التاريخ بها فى حياتنا لأننا نسينا الجهاد وما يذكر به)(٢) .

إن التاريخ بالهجرة يذكرنا دوما بما كان عليه أسلافنا ، ويذكرنا بما أعطوا لدينهم وبما وهبوه من حياتهم ، فتثمر إلى الله – عز وجل – كما

---

(١) صور من حياة الرسول (ﷺ) : للأستاذ / أمين دويدار – ص ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٢) تأملات فى الدين والحياة : لفضيلة الشيخ / محمد الغزالى – ص ٨١، ٨٢ باختصار وينظر الحق المر لذات المؤلف – ص ٧٤ ، ٧٥ .

فروا ، ونهاجر كما هاجروا وتهون علينا مادياتنا الطاغية ، التى لم يعملوا لها حساباً ، فلا نقعد ولا نستكين فدعوتنا لا تعرف العقود ولا الإستكانة ، لإنها دعوة لحياة دائمة .

٩ – نحن فى حاجة إلى الدعاء : -

ونحن فى حاجة إلى الدعاء الخالص الضارع إلى الله – عز وجل – نلهث إليه دوماً بالدعاء ، نضرع ونتضرع إليه سبحانه بأن يزيل كربنا وأن يرحم ضعفنا ونعج إليه ، سبحانه – بأن يكشف عنا السوء وقد قال سبحانه " أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ " (١) .

وقال عز من قائل " وقال ربكم ادعونى أستجب لكم " (٢)

إن المهاجرين وهم فى هجرتهم إلى الله تعالى ، لا شك أنهم كانوا بين الدعاء والرجاء ولذلك حقق الله تبارك وتعالى لهم الآمال ، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، ونحن الآن فى حاجة ماسة إلى الدعاء حتى يكشف الله – عز وجل – عنا الغمة ، وينصر الإسلام ويعز المسلمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة النمل : آية رقم : ٦٢ .

(٢) سورة غافر : آية رقم : ٦٠ .

قائمة المراجع

القرآن الكريم

١- البداية والنهاية : للإمام العلامة ابن كثير – طبعة أولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م – دار الغد العربى .

٢- تفسير القرآن الحكيم : المسى تفسير المنار " : للإمام الشيخ / محمد رشيد رضا – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .

٣- تفسير القرآن العظيم : للإمام ابن كثير – طبعة شباب الأزهر بدون تاريخ .

٤- تأملات فى الدين والحياة : لفضيلة الشيخ / محمد الغزالى – الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م – دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع .

٥- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : للإمام / شمس الدين الذهبى – الطبعة الأول ١٩٩٦ م – دار الغد العربى .

٦- حياة محمد للأستاذ محمد حسين هيكل – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب بدون تاريخ .

٧- حياة الصحابة : للأستاذ / محمد يوسف الكاندهلوى – تحقيق : محمد شعبان ابراهيم ، محمد رزق – طبعة دار المنار للطبع والنشر والتوزيع بدون تاريخ .

٨- خطب الشيخ / محمد الغزالى – فى شئون الدين والحياة – طبعة دار الاعتصام بدون تاريخ .

٩- ركائز الإيمان بين العقل والقلب : لفضيلة الشيخ / محمد الغزالى – طبعة دار الاعتصام إيداع ١٩٧٣ م .

١٠- الرحيق المختوم : بحث فى السيرة النبوية : لفضيلة الشيخ / صفى الرحمن المباركفورى – الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م دار الوفاء .

١١- السيرة النبوية : لابن هشام – طبعة أولى – تحقيق وضبط : د / محمد السقا وآخرون – دار ابن كثير للطبع والنشر والتوزيع بدون تاريخ .

١٢- السيرة النبوية : للإمام ابن كثير تحقيق : مصطفى عبد الواحد – طبعة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م دار المعرفة – بيروت – لبنان .

١٣- السيرة النبوية فى ضوء القران والسنة : للدكتور / محمد محمد أبو شهبة – طبعة دار القلم – دمشق الثالثة سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م .

١٤- السيرة النبوية : عرض وقائع وتحليل أحداث : للدكتور / على محمد الصلابى – طبعة اولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

١٥- صحيح البخارى – بحاشية السندى – طبعة دار إحياء الكتب العربية بدون تاريخ .

١٦- صحيح مسلم – بشرح النووى – طبعة مؤسسة مناهل العرفان بدون تاريخ .

١٧- صور من حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم - : للأستاذ / أمين دويدار – الطبعة الرابعة – دار المعارف بدون تاريخ .

١٨- فتح البارى – شرح صحيح البخارى – طبعة دار الفكر بدون تاريخ .

١٩- فقه السيرة : للشيخ / محمد الغزالى – طبعة أولى سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م – دار الريان للتراث .

٢٠- فقه السيرة : للدكتور / محمد سعيد رمضان اليوطى – ط السابعة سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٨٧ م – دار الفكر .

٢١- فى ظلال القرآن : للأستاذ : سيد قطب – ط الثالثة عشرة ١٩٨٧ م – ١٤١٧ هـ - دار الشروق .

٢٢- القبس الوضاء : من سيرة خاتم الأنبياء : للدكتور / محمد الطيب النجار – طبعة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م – معهد الدراسات الإسلامية .

٢٣- مقدمة قبل هجرة النبى – صلى الله عليه وسلم - : للدكتور/ على الخطيب – هدية مجلة الأزهر المحرم ١٤١٥ هـ

٢٤- المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية : طبعة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م – دار المعارف .

٢٥- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير : للإمام فخر الدين الرازى – طبعة أولى ١٩٩٣م – ١٤١٤هـ - دار الغد العربى .

٢٦- مجلة منار الإسلام : العدد ٣٤٩ المحرم ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م .

٢٧- مجلة منبر الإسلام : العدد ١ المحرم ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م مارس ٢٠٠٤ م .

٢٨- من فيض الرسالة : الدكتور / ابراهيم على ابو الخشب – طبعة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية .

٢٩- الهجرة بداية مراحل التحول والانطلاق : د / محمد عبد الله السمان – الكتاب السادس والاربعون المحرم ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م – مجمع البحوث الإسلامية .

٣٠- عبقرية الصديق : للأستاذ / عباس محمود العقاد – الطبعة الثامنة ١٣٨٥هـ - ١٩٩٦ م – دار المعارف بمصر .

٣١- يوميات مسلم : للدكتور / محمود محمد عمارة – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م – مطبعة التوحيد بشبين الكوم .